

خُزَائِنُ

محمود شاكر



المكتب الاسدي

الطبعة الأولى
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

المكتب الاسلامي

بيروت ص.ب. ١١٣٧٧١ هاتف ٤٥٠٦٣٨ برقية : اسلاميا
دمشق ص.ب. ٨٠٠ هاتف ١١١٦٣٧ برقية : اسلامي

المَقْدَمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد
ابن عبد الله الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فإن أحب
شيء إلى النفس أن تتعرف على منطقةٍ كانت حاضرة المناطق ثم
غيبتُها الأيام ونسيها سكان الزمان ، وتقاسمتها الدول فأغفل
المؤرخون ذكرها وأهمل الباحثون دراستها حيث ضمت إلى أراض
واسعة فضاعت لصغرِها النسبي وكان الضياع مقصودا والإهمال
متعمداً . كانت مدنها العامرة نسباً لعلمائِها الذين ملؤوا الدنيا علماً
فعرفتهم أقاصي المعمورة ، وطوف ذكرهم البلاد على حين زالت
مدنهم وامحت آثارها أو استبدل باسمها آخر وطُمست معالمها ،
ولعل أبرز منطقة ينطبق عليها هذا هي خراسان التي أخرجت أوائل
المفسرين وأشهر علماء الحديث وأنبع كتاب التاريخ وأهم العلماء
في الفنون المختلفة من جغرافية ورياضيات وفيزياء وكيمياء وطب
وفلسفة ويكفي أن نعرف منهم الطبري والبخاري والنسائي
والترمذي والبيهقي والمروزي والخوارزمي والفارابي والايوردي
وابن سينا لنندرك أهمية هذه المنطقة ولنعرف علو كعب أبنائها في
العلم وأهمية تاريخها علينا وعلى حضارتنا .

إن أحب شيء إلى النفس أن تعرف عالما طار صيته ثم تعلم
موقع بلده لتقرن العلم بالمكان والسمع بالحس والمعرفة بالبيئة
والنبوغ بالمصدر ، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل
وتفتش فلا تعرف إذ ضاع الماضي واندثر الفن وزالت عنه لمسات
اليد الأخيرة وندبت الحضارة أيامها الخوالي . وتكون ثورة
النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما
يعرفها على ذلك المكان ويدلها على تلك المنطقة إذ أهملوا واجبه
وغفلوا عن تاريخهم ، ولعل أشهر منطقة أصابها هذا المصاب الاليم
هي خراسان التي ضاعت من مصورها يبهق وفاراب وأبيورد ومرو
الروذ وزمخشر والطالقان والصغانيان .

• إن أحب شيء إلى النفس أن تحيي ما اندثر ، وأن تظهر ما
ضاع ، وتخرج من بطون الكتب مانسي فتقدم للامة عبرة مما حدث
لتستفيد مما وقع فتحرص ألا يتكرر وتعمل على سد ما بان من
ثغرات فتكون النفس بناءة عاملة وتكون الامة متيقظة ساهرة .

إن أحب شيء إلى النفس أن تعرف ما يصيب إخوانها في
بلاد حجبت عنها أحوالهم وافقطعت عنها أخبارهم إذ لا منتقل منها
ولا متحدث باسمها ولا زائر إليها . . . قتل من أبنائها الكثير وشرد
الأكثر ، وأحلّ مكانهم غيرهم من غير دينهم ومن غير أبناء جلدتهم
حيث لا يجمع بين الطرفين جامع ولا يربط بينهم رابط ، وجاء
التازلون الجدد ينادون بأنهم قد عمروا الارض ونهضوا بها
وأخذوا بأيدي أهلها نحو المدنية وعرفوا سكانها بالحضارة ،

وما سقوا بعضهم كأس الموت إلا لأنهم وقفوا في وجه الإصلاح و.
هذا ما حلّ بأكبر جزء من خراسان وهو الذي يعرف الآن باسم
بلاد التركمان ، ويشكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد
السوفيتي الاتحادية ، وتسمى « تركمانستان » .

لهذا أحببت أن أقدم هذا البحث القصير عن هذه المنطقة
المهمة في تاريخنا العزيزة على قلوبنا ليتعرف أبناء الإسلام عليها
وليعلموا ما حلّ ببعض إخوانهم فيها فيكون لهم درساً عسى أن
ينفعهم للعلم ويدفعهم للعمل . وكان أساس هذا البحث موضوعاً
نشر في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .

والله نسأل أن يسدّد خطانا وأن يهدينا إلى سواء السبيل
فهو نعم المولى ونعم النصير .

جغرافية خراسان

خراسان منطقة طبيعية واسعة تحيط بها الجبال من الجنوب فتكون لها حدوداً ، فتتأخها مناطق قومس (١) وقوهستان (٢) وسجستان (٣) وغزنه (٤) ، ويساير أرضها من الشرق نهر جيحون (٥) ، وتتصل من الشمال بصحراء خوارزم (٦) ويحدها من الغرب بحر الخزر ، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ، ويعدّ بلاد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك ، وإنما ذكر

(١) قومس : كورة كبيرة واسعة بين الري ونيسابور ، في سفوح جبال طبرستان الجنوبية .

(٢) قوهستان : وهي الاقليم الجبلي بين هراة ونيسابور ، ومن مدنها قاين ، وهي قصبتها ، وطبس .

(٣) سجستان : ولاية كبيرة جنوبي هراة ، حاضرتها زرنج ، وأرضها كلها رملية ، وفيها عدد من السبخات .

(٤) غزنة : ولاية واسعة وقصبتها غزنة أو غزني ، وهي في طرف خراسان .

(٥) نهر جيحون : يصب في بحيرة (خوارزم) ، وكانت البلاد التي وراءه يطلق عليها (بلاد ما وراء النهر) .

(٦) خوارزم : ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها فأما قصبتها فهي الجرجانية .

البلاذري هذا لأن جميع مذكروه من البلاد كان مضموماً إلى والي خراسان ، وكان اسم خراسان يجمعها ، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة (١) ولاية برأسها ، وكذلك غيرها .

تشمل خراسان أراضي منخفضة يقل ارتفاعها عن ١٠٠٠ م ، وهي المنطقة التي تخضع اليوم لحكم الروس وتعرف باسم (بلاد التركمان) ، كما تشمل السفوح الجبلية المشرقة على هذه الأراضي والتي تجري مياهها ويكون مستواها الأساسي ، إما نهر جيحون وهذا شأن الجزء الذي يقع ضمن بلاد الأفغان ، وقد لاتصل سيولها إلى النهر إذ تفيض في الرمال ، أو تبخرها شدة الحرارة قبل وصولها إليه ، وذلك لقلة منسوبها وضعف ما تتلقاه من مطر وصغر المساحة التي تغذيها ، وهذه حال عدد من السيول تتجه مجاريها نحو النهر ولكن لاتدركه ، وإما أن يكون مستواها الأساسي بحر الخزر وهذا شأن البلاد التي تضم شمالي خراسان الإيرانية وطبرستان (٢) والتي يجري فيها نهر (أتراك) و (جرجان) ، وهناك مناطق تنساب مياهها نحو الداخل لتنتهي

(١) الهياطلة : اسم لقبائل كانت تنتقل في بلاد ما وراء النهر ، وتعود إلى أصل تركي .

(٢) طبرستان : البلاد المعروفة بـمازندران ولا أدري متى سميت بـمازندران ، فانه اسم ألم نجده في الكتب القديمة وإنما يسمع من أفواه تلك البلاد ولاشك أنهما واحد ، وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان ، وهي بين الري وقومس البحر وبلاد الديلم والجبل . «معجم البلدان» .

في حوضات مغلقة ، أو تفيض سيولها في الرمال كما هي الحال في بقية أجزاء خراسان .

ولعل هذه الطبيعة هي التي جعلت السكان يطلقون هذا الاسم « خراسان » على المنطقة ، إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها ، وهم على مرتفعات إيران الشرقية ، فالشمس في الفارسية الدرية « خَر » ، وتعني « أسان » أصل الشيء ومكانه في اللغة نفسها ، وعلى هذا تعني كلمة خراسان « مطلع الشمس » ، ولكن الأسماء كثيراً ما تحمل أكثر من تعليل واحد ، فهناك رواية تقول : إن (خراسان) هو ابن عالم بن سام بن نوح ، وقد خرج من بابل مع أخيه « هيطل » عندما تلبلت الألسن ، ونزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه فأقام خراسان في هذه المنطقة فعرفت باسمه ، وحلّ « هيطل » في بلاد ما وراء النهر فسميت ببلاد (الهياطلة) .

وهذا الموقع جعل المنطقة قليلة الأمطار ، فبعدها عن البحار وإحاطة المرتفعات التي تقف في وجه الرياح القادمة من الغرب والتي تقلّ إليها السحاب ، ويعدّ بحر الخزر ضعيف الآثار أو عديمها لضيقه وانخفاضه وانغلاقه ووقوعه أيضاً وراء الجبال التي تقف كأنها سد في الجهة الغربية منه .

هذا الموقع بين خطي عرض ٢٤ - ٤٠ شمالاً جعل المنطقة ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط ذي الصيف اللافح الجاف والشتاء المعتدل المطير ، إلا أن الموقع الذي تكلمنا عنه في البعد عن البحار ووقوعه خلف الجبال جعل المنطقة صحراوية أو شبه

صحراوية ، إذ أنها تتلقى أمطاراً تقل عن ٢٠٠ مم والبقاع التي تقل
أمطارها عن هذه الكمية تعد صحراوية ، وإن حرارة الصيف
اللاهب استطاعت أن تبخر كميات من المياه المتجمعة في بعض
الحوضات على شكل بحيرات صغيرة أو مستنقعات قليلة إذ تهطل
عليها بعض الأمطار الضئيلة في فصل الشتاء ، أو تنتهي فيها بعض
المجاري المائية التي تنساب إليها من المرتفعات ولا تستطيع تجاوزها
لقلة وشح مياهها وشدة التبخر . إلا أن الجداول المناسبة من
الجبال الشاهقة التي تتلقى لارتفاعها الأمطار أو تغطيها الثلوج ،
والتي تقع خارج نطاق خراسان ولكنها تجري إليها ، تجعل في
تلك الصحراء واحات خضراء على طول مجاريها وبلاداً عامرة
عند انتهاء مياهها ، وعلى هذا تتعاقب الأشرطة الخضراء والصحاري
القفر ، فتقوم في الأولى حياة حضرية مستقرة وتعيش في الثانية
قبائل بدوية مرتحلة . . . إذا ساء المناخ وأجذب عمل الحضر رعاة
وإذا ضاق البدو بترحالهم لجؤوا إلى الاستقرار . وقد اكتسب
السكان بهذا ميزات البدو الحسنة كلها من شجاعة وأصالة ونبوغ
وصفاء في الفكر ، وأخذوا من صفات الحضر النشاط والدأب
والاستقامة والنظر إلى المستقبل والأمل بالخير . وإذا أخضبت
السماء أمدت الأرض بمزيد من الغيث فأنبئت الكلاً والعشب
الكثير ، وكانت السفوح والوهاد كلها خضراء مزدانة بأنواع
الزهور الطبيعية المختلفة الألوان لايشذو وادٍ ولا يختلف مرتفع
منسوب المياه في الأودية ، وقد تشكل مستنقعات قبل أن تفيض في

الرمال ، أو إذ مرت على منطقة مستوية كثيفة الصخور ، وربما أضرّت بالناس لما تسبّبه من أمراض وما تنشره من حيّات ، وإذا أجذبت عليهم السماء أمحلت الأرض وظمى الإنسان بعد ارتقواء وشرب رتقاً بعد صاف ، وعطش الحيوان والنبات بعد زيادة في الماء ، وغادر سكان الواحات أماكنهم ، وانتقلوا وراء حيواناتهم مجالاً جديداً للعمل غير الذي كانوا يمارسونه ، ومهنة غير التي كانوا يزاولونها ، وبدت الأشجار وكأنها تخلع ثوبها الأخضر لتلبس آخر أصفر أو تعرّت نهائياً من الأوراق بعد اكتسائها ، ويغال بها الذبول بعد نضرتها ، وغدت البساتين كأن لم تغن بالأمس ، وذبلت الأعشاب وذوت بعد حيوية كانت عليها وأصبحت هشيماً تذروه الرياح ، وامتدت الصحراء حتى طغت ، ولهذا نستطيع أن نقول : إن الحياة هناك كانت شبه مستقرة أو نصف حضرية .

إذا ساد الأمن أورقت الحضارة أيما إوراق وأبدعت يد الإنسان كل إبداع ، وهذا ما تمّ في العصر الإسلامي - عصر خراسان الذهبي - إذ قدّمت هذه المنطقة للحضارة أكبر رجالها وغذّتها بأكثر جوانبها ، ويكفي أن نذكر قول ياقوت الحموي في معجمه عن ذلك لنعرف ما قدمته خراسان إذ يقول : « فأما العلم فهم فرسانه وسادته وأعيانه ، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ومثل مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١) وأبي عيسى الترمذي (ت ٢٩٧) وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨) وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) وأبي حامد الغزالي

(ت ٥٠٥) والجويني إمام الحرمين (ت ٤٧٨) والحاكم أبي عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥) وغيرهم من أهل الحديث والفقه ، ومثل الأزهري (ت ٣٧٠) والجوهري والفارابي (ت ٣٣٩) صاحب ديوان الأدب ، والهروي (ت ٤١٤) وعبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١) وأبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨) ، هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذي يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عددهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما مات العبادة : عبد الله بن عباس (ت ٦٨) وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣) وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥) صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي ، فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) وفقيه اليمن طاووس (ت ١٠٦) وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير (ت ١٢٩) وفقيه أهل البصرة الحسن البصري (ت ١١٠) وفقيه أهل الكوفة النخعي (ت ٩٦) وفقيه أهل الشام مكحول (ت ١١٢) وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني إلا المدينة فإن الله تعالى خصّها بقرشي فكان فقيه أهل المدينة من غير مدافع سعيد بن المسيب (ت ٩٤) .

وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس وأتت على المدينة والعمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيמתهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم ، وإذا دارت رحاها بين أهلها بعضهم على بعض كان بأسهم بينهم شديداً وحالتهم أليمة ، وعندها يندثر كل ما أشيد ، وينهدم كل ما أقيم ، حتى تصبح قاعاً صافصفاً ، وهذا ما حدث عندما ضعف الحكم الإسلامي ، وقامت العصبيات

وكذلك عندما اجتاحت المغول المنطقة ، ثم عندما جاء التتار إذ خربت
الديار ، وزالت معالم مابني في العصور الماضية وأتى الخراب على
كل ما كان .

وشُتّع على أهل خراسان وادّعي عليهم بالبخل ، ونسجت
الروايات وحكيت الأساطير وأصبح كل من يريد أن يتكلم عن
البخل ينسبه إلى خراسان ، ومن يحب أن يذكر شيئاً عن البخلاء
يتحدث عن أشخاص منهم ، وينسبهم إلى مرو ، وكل هذا ليس
بصحيح ففي كل بلد بخلاؤها ، وفي كل أرض كرمائها ، أما أن
يتجمع أكثرهم في مكان ، وينزوي عن تلك البقعة الكرم ، وينحسر
فهذا لا يتفق مع العقل . ومما ذكره ثمامة أن الديك في كل بلد
يلفظ ما يأكله من فيه للدجاجة بعد أن حصل عليه إلا ديكة مرو فإنها
تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب . وهذا الكلام لا يستقيم لأن
ديكة مرو إن هي إلا كالديكة في جميع الأرض ، وما هذا الكلام إلا
لينسب البخل إلى تلك البلاد وهل يمكن أن يشترك الحيوان
والإنسان في هذه الصفة . . . وعلى كل فإن ما شاع على ألسن
الناس من بخل أهل خراسان إن هو إلا غير صحيح وأصله التفكه
والملاحاة في الحديث حتى صار عاماً ومتى نسبت الصفة إلى شيء
كثر الكلام فيه ، كما نسبت الأساطير إلى جحا فأصبحت كل
أسطورة له ، وغدا كل طفيلي هو أشعب .



تاريخ خراسان

عاشت في هذه المناطق شبه الصحراوية قبائل فرضت عليها الطبيعة الارتحال وأجبرها الكلا على الانتقال ، تعود في معظمها إلى أصل تركي .

دانت هذه القبائل بالوثنية والمجوسية ديانة فارس القديمة ، حتى سطع عليها النور من الجزيرة العربية ، فلفها بين أشعته ، وطواها بين جوانحه فاعتنقت جميعاً الإسلام .

فتح خراسان :

بعد معركة نهاوند ^(١) عام ٢١ هـ الموافق ٦٤٣ م والتي كانت معركة حاسمة انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصاراً مؤزراً ، حيث أطلق المسلمون عليها اسم « فتح الفتوح » ، قرر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدها وحسب رأي الأحنف بن قيس ^(٢) الانسحاب في بلاد فارس ودفع قوات المسلمين إلى أنحاء

(١) نهاوند : مدينة قائمة في جبال (زاغروس) جنوب (همدان) وهي على طريق وسط فارس .

(٢) الأحنف بن قيس ، أبو بحر : سيد تميم ، يضرب به المثل في الحام ، أحد الشجعان الفاتحين ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، شهد صفين مع علي رضي الله عنه ، توفي بالكوفة عام ٧٢ هـ

تلك المملكة كلها ، فعقد سبعة ألوية لسبعة من القادة عهد إليهم فتح
أرض فارس كلها ، وكان ممن سار إلى خراسان الأحنف بن قيس
التميمي .

سار الأحنف بن قيس على رأس جيشه حتى دخل خراسان من
(الطبسين) (١) فافتتح (هراة) عنوة واستخلف عليها (صحار
ابن فلان العبدى) ، وسار نحو (مرو الشاهجان) (٢) عن طريق
نهر (هراة) ، فامتلكها واستخلف عليها (حارثة بن النعمان) ومنها
سار نحو (مرو الروذ) مع وادي نهر (مورغاب) ليلحق (يزد
جرد) حيث فر إليها ، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف
ابن قيس ، وسار الممدد نحو (بلخ) حيث انتقل (يزد گرد) إليها .
واستطاع أهل الكوفة دخول (بلخ) ، وفر (يزد گرد) إلى بلاد
ما وراء النهر ، ولحق الأحنف بأهل الكوفة في (بلخ) وقد نصرهم
الله على عدوهم ، وأصبح الأحنف سيد خراسان إذ تتابع أهلها من

(١) الطبسان : قصبة ناحية في ولاية قوهستان ، وهي ثنية
طبس إذ هما بلدتان كل واحدة منهما يقال لها طبس ، إحداهما طبس
العناب والثانية طبس التمر ، والفرس لا يتكلمون بها إلا مفردة والعرب
يشونها ، ويقال لهما الطبسان إذ أنهما في موضع واحد ، وتعدّ باب
خراسان حيث تنخفض الجبال بينها وبين خراسان وتكون ممرا
ينفتح نحو هراة .

(٢) مرو الشاهجان : هي مدينة مرو قصبة خراسان ونسبت
إلى الشاهجان لأنها القصبة إذ معنى « جان » بالفارسية السلطان .
وتفريقا لها عن مرو الروذ .

شد منهم في مكان أو تحصن في مكان منيع على الصلح • وكان الأحنف وهو في طريقه إلى (مرو) قد بعث من فتح (نيسابور) و (سرخس) ، إذ أرسل (مطرف بن عبد الله) إلى (نيسابور) و (الحارث بن حسان) إلى (سرخس) •

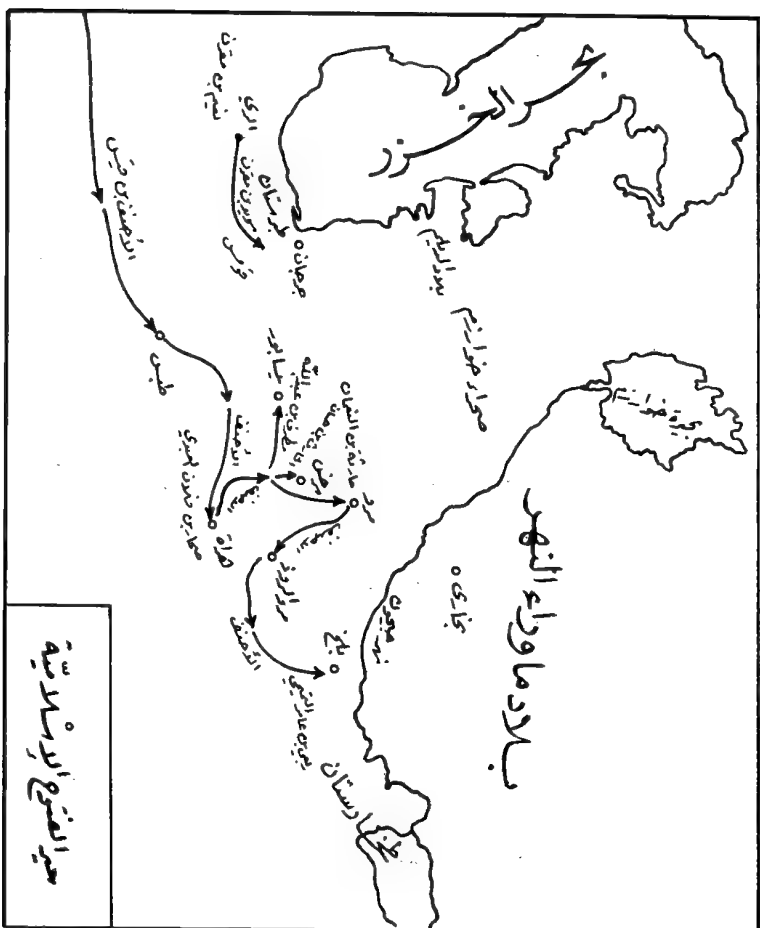
عاد الأحنف إلى (مرو الروذ) بعد أن استخلف على (طخارستان) (ربعي بن عامر التميمي) ، وكتب الأحنف إلى الخليفة عمر بن الخطاب بفتح خراسان ، فكتب عمر إلى الأحنف « أما بعد : فلا تجوزن النهر واقتصر على مادونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا اختفضوا » •

أما (طبرستان) فقد تم فتحها على يد (سويد بن مقرن المزني)^(١) • إذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاءه البشير بفتح (الري)^(٢) كتب إلى (نعيم بن مقرن)^(٣) أن يقدم

(١) سويد بن مقرن المزني ، أبو عائد : أسلم مع أسرته ، شهد فتح العراق ، وحضر (القادسية) و (المدائن) : قاتل تحت لواء أخيه النعمان في نهاوند ، وتحت لواء أخيه نعيم في الري و همدان ثم قاد فتح طبرستان و جرجان ، سكن الكوفة ومات فيها •

(٢) الري : موقع في فارس ، مكان طهران اليوم أو على مقربة منها •

(٣) نعيم بن مقرن : أسلم مع إخوته ، شهد الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها ، قاتل المرتدين ، اشترك في قتال الفرس ، كان على مقدمة أخيه يوم نهاوند ، فتح (همدان) و (الري) ومات في الكوفة •



أخاه سويداً إلى (قومس) •

سار (سويد) إلى (قومس) ، ولم يصادف مقاومةً من حماتها ، ففتحها سلباً وعسكر بها • ثم سار إلى (بسطام) إحدى مدنها فأقام بها ، ومنها كاتب ملك جرجان يدعوهُ إلى الصلح أو يسير إليه بجنوده ، فبادر الملك الفارسي بالصلح على أن يؤدي الجزاء ويكفيه حرب جرجان ولهم الذمة والمنعة والأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزيان صول بن رزيان وأهل (دهستان) وسائر أهل (جرجان) • أن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ، ومن استغنى به منكم فله جزاء في معوقته عوضاً عن جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغيّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرؤوا المسلمين ولم يبدُ منهم سل ولا غل ... »

استعان يزديجرد بملوك التتار في بلاد ما وراء النهر بعدما وصل إليهم ، وكانوا قد رفضوا إنجاده من قبل ، فرجع إلى (بلخ) واستعادها ، وفر المسلمون الذين فيها إلى (مرو الروذ) حيث يقيم الأحنف بن قيس إلا أنه لم يستطع دخولها فقتل التتار راجعين إلى (بلخ) بينما سار يزديجرد إلى (مرور الشاهجان)

فحاصرها وبها (حارثة بن النعمان) عاملاً عليها من قبل الأحنف ،
فاستخرج يزدجرد منها كنوزه وانطلق نحو (بلخ) حيث ينتظره
بها ملوك التتار .

وتوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمسلمون على حالهم
في خراسان إلا أن أهل خراسان لم يلبثوا أن نقضوا العهد بعد
وفاته واجتمع المسلمون في (مرو الروذ) وعليها عبد الرحمن
ابن سمرة ، فكتب ابن سمرة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان بخلع
أهل خراسان : فقال أسيد بن المشمّس الثري :

ألا أبلغا عثمانَ غني رسالةً
فقد لَبَّيْتُ عَنَّا خراسانُ بالعَدْرِ
فأذكَ هداك الله ، حرباً مقيمةً
بمروَ وَيْ خراسان العريضة في الدهر
ولا تَفْتَرِزْ عَنَّا ، فَإِن عدونا
لآلُ كَنَازِءِ المَمدِّينَ بالجسر

فأرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى عامله عبد الله بن
عامر أن يستعيد فتح خراسان وأمره بعبد الله بن بشر في أهل
البصرة ، فخرج ابن عامر في الجند وولج خراسان من جهة يزد
والطبّسّين ، وكان على مقدمته الأحنف بن قيس .

وكان عبد الله بن عامر قد استطاع أن يعيد فتح خراسان
بسرعةٍ إذ أرسل (الأحنف بن قيس) إلى (مرو الروذ) ففتحها

بعد أن أجبر أهلها المتحصنين على الصلح ، وأرسل الأحنف
(الأقرع بن حابس) إلى (الجوزجان) ففتحها بعد قتال شديد
استشهد فيه خلق كثير ، ومات عدد كبير . وسار الأحنف إلى
(بلخ) فصالح أهلها واستتاب (أسيد بن الشمس) على قبض
المال ، فقال أسيد بعد استرداد خراسان :

ألا أبلغا عثمان عني رسالة

لقد لقيت منا خراسان فاطحا

رميتهم بالخيـل من كل جـاب

فولتوا سراعاً واستقادوا النوائحا

غداة رأوا خيل العرب مغيرة

تقرب منهم أسد هـن الكوالحا

تأدوا إلينا واستجاروا بـهدنا

وعادوا كلاباً في الديار نوابحا

واستعاد المسلمون مواقعهم في خراسان كلها ، وأعادوا
عمالهم على ما كانوا عليه ، وعلى هذا تكون الفتوحات كثيرة أيام
خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولكن - مع الأسف - لا يذكر
من أيامه سوى الفتنة التي وقعت والخلافات التي حدثت في أواخر
أيامه والتي انتهت بمقتله .

ولما كانت خلافة معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن
عثمان بن عفان^(١) على خراسان ، ومضى سعيد بجنته في طريق

(١) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي : وال ، من الفالحين ، نشأ
في المدينة ، وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية ، فولاه خراسان ، ففتح سمرقند ،
وأصبحت عينه بها ، وعزل عن خراسان عام ٥٧ هـ : توفي عام ٦٢ هـ .

فارس ، فلقية بن مالك بن الرب (٣) ، وكان من أجمل الناس
وجهاً وأحسنهم ثياباً ، فصحه معه ويذكر مالك ذلك في قصيدته
اليائية التي خلّلت ذكره وسنوردها لما فيها من جمال وذكر لكثير
من أسماء المواضع في خراسان إذ يقول :

١ - لعمرى لئن غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابي خراسان فائيا

٢ - ألا ليت شعري هل أيتنّ ليلة
بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

٣ - فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

٤ - لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا
مزار ولكن الغضا ليس دانيا

٥ - ألم ترني بعث الضلالة بالهدى
وأصبحت في جيش ابن عفّان غازيا

وكان فتح الطبّسكين وهما بابا خراسان في هذا الجيش
على يد عيد الله بن بديل بن ورقاء ، فيقول مالك :

٦ - دعاني الهوى من أهل ودّي وصحبتي
بذي الطبّسكين ، فالتفت ورائيا

(٢) مالك بن الرب : سار مع جيش الفتح ، شهد فتح سمرقند ، مرض في

(مرو) وتوفي عام ٦٠ هـ .

- ٧ - أجبت الهوى لما دعاني بزفرة
تقنعت ، منها أن ألام ، ردائيا
- ٨ - أقول وقد حالت قري الكرد دوتا
جزى الله عمراً خيراً ما كان جازيا
- ٩ - إن الله يرجعني إلى الغزو لا أكن
وإن قلّ مالي طالباً ما ورائيا
- ١٠ - فله دري يوم أترك طائماً
بنيّ بأعلى الرقمتين^(١) وماليا
- ١١ - ودر الظباء السانحات عشيّة
يخبرن أني هالك من أماميا
- ١٢ - ودر كبريّ اللذين كلاهما
على شفيق فاصح لو نهائيا
- ١٣ - ودر الهوى من حيث يدعو صحابه
و در لجاجاتي و در اتهاميا
- ١٤ - ودر الرجال الشاهدين تفكّي
بأمري ألا يقصروا من وثاقيا
- ١٥ - تفقدت من يبكي علي فلم أجد
سوى السيف الرمح الرديني باكيا
- ١٦ - وبالرمل منا نسوة لو شهدتي
بكين وفديين الطيب المداويا

(١) الرقمتين : قريتين قرب البصرة حيث منزل مالك بن الربيع .

- ١٧ - فمنهن أمي وابنتاهما وخالتي
وباكية أخرى تهيج البواكيا
- ١٨ - وأدهم خنذيد يجر لجامه
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
- ١٩ - ولكن بأطراف السمينة^(١) نسوة
عزيز عليهن العشية ما ييا
- ٢٠ - صريع على أيدي الرجال بقفرة
يسوون لحدي حيث حُمّ قضائيا
- وبعد ذلك يذكر مرو وقد لاحظ أن منيته قد اقتربت لما
أصابه من السقم وما حلّ به من الألم .
- ٢١ - ولما تراءت عند مرو منيتي
وحلّ بها سقمي وحانت وفاتيا
- ٢٢ - أقول لأصحابي : ارفعوني فإتني
يقرّ بعيني أن سهيل بداليا
- ٢٣ - فيا صاحبي رحلي دفنا الموت فأنزلا
برايّة إني مقيم لياليا
- ٢٤ - أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلة
ولا تعجلاني قد تبين شانيا
- ٢٥ - وقوما إذا ما استل روعي فهيّا
لي السدر والأكفان ثم ابكيانيا

(١) السمينة : موقع في خراسان .

- ٢٦ - وخطًا بأطراف الأسنة مضجعي
وردًا على عينيّ فضل ردائيا
- ٢٧ - ولا تحسداني بارك الله فيكما
من الأرض ذات العرض أن توسعالي
- ٢٨ - خذاني فجزاني ببردي إليكما
فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا
- ٢٩ - وقد كنت عطفاً إذا الخيل أحجمت
سريعاً لدى الهيجا إلى من دعانيا
- ٣٠ - وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى
وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
- ٣١ - وقد كنت صباراً على القرن في الوغى
ثقيلاً على الأعداء عضباً لسانيا
- ٣٢ - وطوراً تراني في ظلالٍ ومجمعٍ
وطوراً تراني والعناق ركاييا
- ٣٣ - وطوراً تراني في رحيّ مستديرةٍ
تخرق أطراف الرماح ثاييا
- ٣٤ - وقوما على بئر الشبيك فأسمعا
بها الوحش والبيض الحسان الروانيا
- ٣٥ - بأنكما خلقتُماني بقفرةٍ
تهيل عليّ الريح فيها السوافيا
- ٣٦ - ولا تنسيا عهدي ، خليلي ، إني
تقطعُ أوصالي وتبلى عظاميا

- ٣٧ - ولن يعدم الوالون بيتاً يجنّني
ولن يعدم الميراث بعدي المواليا
- ٣٨ - يقولون : لا تبعد، وهم يدفونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا
- ٣٩ - غداة غدٍ ، يالْهف قسي على غدٍ
إذا أدلجوا غني وخلّقت ثاوريا
- ٤٠ - وأصبحت لأنضو قلو صاً بأنسئ
ولا أتمي في غورها بالمشايا
- ٤١ - وأصبح مالي من طريفٍ وتالدٍ
لغيري وكان المال بالأمس ماليا
- ٤٢ - فيا ليت شعري هل تغيرت الرحا
رحا المثل ^(١) أو أمست بفلج كما هيا
- ٤٢ - إذا القوم حلّوها جميعاً وأنزلوا
بها بقرأ حَمَّ العيون سواجيا
- ٤٤ - رَعَيْنَ وقد كان الظلام يَجْثُهَا
يَسْتَفْن الخزامى غُضّة والأقاحيا
- ٤٥ - وهل ترك العيس المراسيل بالضحى
تعالها تعلو المتان القوافيا
- ٤٦ - إذا عَصَبُ الركبان بين غنيزةٍ
وبولان ^(٢) ، عاجوا المنقبات النواجيا

(١) رحا المثل : اسم مكان بخراسان .

(٢) بولان : اسم موضع .

- ٤٧ - ألا ليت شعري هل بكت أم مالك
كما كنت لو عالتوا نعيمك باكيا
- ٤٨ - إذا مت فاعتادي القبور فسلمي
على الرمس أسقيت الغمام الغواديا
- ٤٩ - تري جدثاً قد جرّت الريح فوقه
غباراً كلون القسطلاني هايبا
- ٥٠ - رهينة أحجارٍ وتربٍ تضمنت
قرارتها مني العظام البواليا
- ٥١ - فياراكباً إما عرضت قبلغن
بني مالك والريب أن لا تلاقيا
- ٥٢ - وبلغ أخي عمران بردي ومزري
وبلغ عجوزي اليوم أن لا ترانيا
- ٥٣ - وسلم على شيخني مني كلاهما
وبلغ كثيراً وابن عمي وخاليا
- ٥٤ - وعطل قلوصي في الركاب فإنها
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
- ٥٥ - أقلب طرفي حول رحلي فلا أرى
به من عيون المؤسسات مراعيّا
- ٥٦ - فما كان عهد الرمل عندي وأهله
ذميماً ولا ودّعت بالرمل قاليا

كانت خراسان في البداية تتبع الوالي في البصرة وهو يرسل إليها نائباً عنه ، ثم أصبح والي خراسان يعين من قبل الخليفة وإن كان يتبع البصرة أو أن والي المشرق يقترح ذلك على الخليفة فيوافق . وقد تعاقب الولاة وعندما حدثت الفتنة في الدولة الإسلامية إثر مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت خراسان تشايخ سيدنا علياً رضي الله عنه وعندما تمّ الأمر لمعاوية رضي الله عنه اعتصم زياد بن أبيه^(١) في خراسان ولكن معاوية استطاع كسبه ، وعمل له عاملاً على البصرة فكان يرسل الولاة إلى خراسان من قبله ، ثم وليها ابنه (عبيد الله)^(١) وعندما تولى أمر الكوفة عبيد الله بن زياد صار أمر خراسان إلى أخيه عبد الرحمن بن زياد ثم إلى أخيه أسلم

وعندما حدث الخلاف أيضاً أثناء خلافة عبد الله بن الزبير شايعت خراسان ابن الزبير ثم دانت للحجاج بن يوسف والي المشرق من قبل عبد الملك بن مروان فولى على خراسان المهلب بن أبي صفرة الذي كان والياً على البصرة من قبل مصعب بن الزبير .

(١) زياد بن أبيه : ولد في الطائف في العام الاول للهجرة ، مجهول الاب ، ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، أسلم في عهد أبي بكر ، تولى إمرة خراسان لعلي بن أبي طالب ، اعتصم بقلاع خراسان بعد مقتل علي ، الحقه معاوية بنسبه ، فقدم اليه ، وولاه البصرة والكوفة وبقي فيهما حتى توفي عام ٥٣ هـ .
(١) عبيد الله بن زياد : ولد بالبصرة عام ٢٨ هـ ، وولاه معاوية خراسان عام ٥٣ هـ ، ثم البصرة عام ٥٥ هـ ، بايعه أهل البصرة بعد وفاة يزيد ثم وثبوا عليه ، ففر الى الشام قتله ابراهيم بن الاشتر وهو في طريق عودته الى لعراق عام ٦٧ هـ .

وبقي المهلب بن أبي صفرة^(١) على خراسان حتى توفي عام ٨٣ هـ ، فخلفه ابنه يزيد فبقي مدة ست سنوات ثم عزل برأي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يخشى بأسه ، وعندما عزل حبسه الحجاج ولكنه استطاع أن يفر من السجن ويأتي إلى الشام . . . وتولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي فقام بفتح بلاد ما وراء النهر . . .

وعاد يزيد بن المهلب إلى ولاية خراسان بعد وفاة الوليد بن عبد الملك وتولية أخيه سليمان وبقي فيها حتى جاء إلى الخلافة عمر بن عبد العزيز فعزله وسجنه في حلب .

ثم ولي أمر خراسان عمر بن هبيرة الفزاري^(٢) أيام خلافة يزيد بن عبد الملك ، ولكنه عزل في أيام هشام بن عبد الملك وسجن وتولى مكانه خالد بن عبد الله القسري^(٣) فكان أمير العراقيين فأرسل أخاه أسد^(٤) إلى خراسان فبقى هناك حتى عام ١٢٠ هـ

(١) المهلب بن أبي صفرة : ولد في السنة السابعة للهجرة ، قدم المدينة مع أبيه أيام عمر ، وولي أمر البصرة لمصعب بن الزبير ، ولاه عبد الملك خراسان وبقي فيها حتى مات بها عام ٨٣ هـ .

(٢) عمر بن هبيرة : وولي لجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وغزا الروم ، تولى إماره العراق وخراسان وتوفي عام ١١٠ هـ .

(٣) خالد بن عبد الله القسري : ولد في دمشق عام ٦٦ هـ ، تولى أمر مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاه هشام العراقيين عام ١١٥ هـ ثم عزل عام ١٢٠ هـ وقتل بالحيرة عام ١٢٦ هـ .

(٤) أسد بن عبد الله القسري : ولاه أخوه خالد خراسان عام ١٠٨ هـ ، أسلم على يديه « سامان » جد الأسرة السامانية وتوفي في (بلخ) عام ١٢٠ هـ .

حيث توفي ، وكان هشام قد عزل أخاه خالداً ، وأقام مكانه يوسف ابن عمر (١) الثقفي فسجنه يوسف وعذبه ثم قتله ، ثم عين نصر ابن سيار (٢) .

هذا الخلاف بين الولاة واستبدالها بشكل مستمر جعل شيئاً من القوضى أو عدم الاطمئنان بالنسبة إلى السكان وهذا ما جعل العصبية تنشأ وتذققرنها من جديد وبخاصة أنها قد وجدت في دمشق مركز الخلافة ، ومنها امتدت إلى الجهات كلها . . . فالعرب الذين فتحوا خراسان وتكاثروا فيها ، واستقروا هناك ، وكانت اليمانية أكثر الفئات سكناً لتلك الجهة . وبعد هذا الاستقرار الذي أعقب الفتوحات الكبرى استرخت النفوس ، ومالت إلى الدعة والخلود ، ثم بدأ النزاع وظهر بين القبائل ، وثار العصبية ، واقسم العرب إلى يمانية ومضرية ، وساد العداء بينهما ، واشتعلت نار الحرب بين الطرفين عندما لم يجدوا من يحاربونه ، ونسوا الأمر الذي ذهبوا من أجله وهو نشر الدين والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

(١) يوسف بن عمر الثقفي: تولى أمر اليمن لهشام بن عبد الملك عام ١٠٦ هـ ، ثم انتقل إلى العراق ، وأضاف إليه خراسان عزله يزيد بن الوليد وجبسه فسي دمشق ، وقتل في السجن عام ١٢٧ هـ .

(٢) نصر بن سيار : ولد عام ٤٦ هـ ، كان شيخ مضر بخراسان ، ووالي بلخ ، ثم تولى إمرة خراسان عام ١٢٠ هـ ، أقام بمرور ، انتصرت عليه الدعوة العباسية ، مرض ومات عام ١٢١ هـ .

كان أسد بن عبد الله القسري والسي خراسان زعيم اليمانية ثم أصبح نصر بن سيار والياً وهو زعيم المضرية . . . هذه العصية أثارت عصيات أخرى إذ أن الاعتماد على العرب وإهمال الموالي قد أثار النزعة الفارسية وقامت الدعوة إليها . بينما كان الذين يجمع بينهم ، وبذا تفرقت الأمة وتقطعت أوصالها ، فما استحسنت العvisية في أمةٍ إلا فَرَّقَها فَرَقاً ، ومزقتها مزقاً ، وجزأتها قطعاً ، وما تفرقت أمة إلا ذلت ، وما أصاب الذل أمةً إلا سطا عليها أكثر أهل الأرض شراً وأقلهم قدراً وأحطهم أمراً . وما أصابنا الآن ما أصابنا إلا بعد أن تفوقنا على أنفسنا في مناطق معينة ، وفَرَّقنا أصحاب الأطساع ، وشئتنا أهل الهوى ، وتركنا الدعوة للفكرة وانطلقنا وراء العvisية .

واستفاد أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس من هذه التفرقة القائمة في خراسان فضم إلى جموعه :

١ - اليمانية المعارضة للمضرية وزعيمها نصر بن سيار ، وكانوا يطمعون أن تكون الولاية لهم لكثرتهم ، وينضمون على المضرية .

٢ - الناقمين على الأمويين الذين يعتمدون على العرب ويهملون الموالي ، إذ كانوا يضعون عليهم الجزية رغم إسلامهم ولم يشذ من خلفاء بني أمية سوى عمر بن عبد العزيز .

٣ - الجماعة التي ترى إهمال الدعوة الدينية وتوقف الفتح خطراً عظيماً على الدين .

٤ - أصحاب العصية الفارسية الذين يتخذون رد الفعل ضد
الأمويين ستاراً يخفون به حقائقهم •

٥ - الجماعة التي تؤيد آل البيت وترى فيهم قدوة وأحقية لتسلم
الحكم •

٦ - هذا إضافة إلى الأطماع الشخصية والآراء الفردية وحب
التغيير القائم في النفوس •

أحسن والي خراسان نصر بن سيار بهذه التفرقة وشعر بخطر
العصية ، ولكن بعد أن فات الأوان فالتار قد اشتعلت ولا يمكن
إخمادها بسهولة ، وبخاصة أنه كان يتعصب للمضريّة فكتب
يستنجد ممن يمكن أن ينجده ولكن يظهر أن البلاء قد عم •
كتب نصر بن سيار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ^(١) والي العراقين
يستمدده وكتب إليه بأبيات من الشعر :

أبلغ (يزيد) وخير القول أصدقه
وقد تبينّت ألا خير في الكذب
إن خراسان أرض قد رأيت بها
بيضاً لو أفرخ قد حُدّتْ بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت
ولم يطرن وقد شربلن بالزغب

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : ولد في دمشق عام ٨٧ هـ ، وُلِّي قنسرين للوليد بن
يزيد ثم جمعت له ولاية (العراقين) عام ١٢٨ هـ في أيام مروان بن محمد ، قاتله
العباسيون ، ثم أعطوه الأمان بعد أن اتعبه ، فاقام بواسط ثم قتل عام ١٣٧ هـ
بقصر واسط •

فإن يطرن ولم يَختل لهن بها
 يلهن نيران حرب أيما لهب
 فقال (يزيد) لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل •
 وكتب نصر إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم
 وخروجه وكثرة من معه وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي
 ابن عبد الله بن عباس وكتب بأبيات شعر منها
 أرى بين الرماد وميض نار
 ويوشك أن يكون له ضرام
 فإن النار بالعيدان تذكى
 وإن الحرب مبدؤها الكلام
 أقول من التعجب ليت شعري
 أيقاظ أمية أم نيام ؟
 فإن كانوا حينهم نياماً
 فقل : قوموا فقد حان القيام
 وأعاد نصر الصيحة تلو الأخرى ثم التفت إلى طاهرته مرو •
 يريد جمع العرب وإنهاء أمر الخلاف بين اليمانية والمضرية وكتب
 لهم جميعاً أبياتاً من الشعر يقول فيها :
 أبلغ ربيعة من مرو وإخوتهم
 فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
 ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
 حرباً يحرّق في حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب

ولكن لم تجد هذه الصيحات في وقت تشتت فيه الأفكار ،
وتفرقت الأهواء ، واستحكمت العصبية ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « دعوها فإنها تنتن » • ولا تكون نتيجة التفرق
شديدة على الجيل الحاضر بقدر ما تكون عظيمة الأثر على الأجيال
التي تعقبه ، وهذا الذي حدث في خراسان •

واستطاع أبو مسلم الخراساني الانتصار على أعدائه الذين
تفرقوا • والتقى جيش العباسيين القادم من المشرق بقيادة عبد الله
ابن علي بن عبد الله بن عباس بجيش الأمويين بقيادة مروان بن
محمد آخر خلفاء بني أمية على نهر الزاب أحد روافد دجلة ، وكان
الجيش الأموي مفرقاً مختلفاً لا يدافع عن فكرة ، ولا يصل للدعوة
ولا يقاتل تحت راية العقيدة لذا فلا يمكنه أن يحرز النصر ، فإن
النصر مرهون بالعقيدة ، والجيش التي تظم بين صفوفها
جنوداً لا يحملون عقيدة إنما تجمع أشتاتاً تفرقهم أول صدمة
وتذلتهم أول ضربة • أما الجيوش التي تتألف من جنود مترابطين
في العقيدة فإنما تجمع صفاً واحداً كالبنيان المرصوص وتجعل
من أفرادها كتلة واحدة يصعب اختراقها مهما بلغت قوة العدو
وتعاظمت وزادت عدته وتكاثرته ، وهذا ما كان يحدث في غزوات
الصدر الأول من التاريخ الإسلامي وفتوحاته إذ لا يمكن تعليلها
إلا بالإيمان الذي كان يملأ النفوس ويغطيها كاملة فلا ترى إلا

من خلاله ولا توصف إلا به ، بينما كان الجيش العباسي أفضل نسبياً يعمل لفكرة ويسير إلى هدف ويهدف إلى شيء يخطط له وهذا ما جعله يحرز النصر ، ويحصل على الفوز ، ويكتب لدولته القيام .

دالت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس ، زالت عصبية وحطت مكانها أخرى ، وابتدأ سفك الدماء ، وكثر القتل ، فالحرب بين العصبيات شديدة ليس لها حدّ تقف عنده ، ولا يعترف لها مثيل إلا الحروب بين الطبقات ، هذان النوعان من التقسيم أشدّ أنواع التفرقة ، وأصعب أنواع الخلاف ، وينتج عنهما أقسى أنواع الحروب ، وأمرّ أصناف القتال ، وأبغض أشكال العداء ، ويستمر التوتر بين الطرفين ما دام التقسيم قائماً ، ولهذا فالإسلام يحاربهما ويدعو إلى نبذهما ويحول دون تقسيم المجتمع إلى طبقات ، أو تصنيفه إلى عصبيات . ولذا فقد دهش المسلمون من الأحداث التي جرت في هذه الآونة ، وانصرف بعضهم نحو العلم يعبون من منله ، وقد تركوا ما يجري على الساحة فكان منهم العلماء الذين حققوا للحضارة الإسلامية انتصارات واسعة أضيفت إلى ما حققته الفتوحات ، وإن كان قد سار كل منهما في اتجاه إلا أن الهدف منها كان واضحاً وواحداً هو خدمة الإسلام والعمل في سبيل الله .

استلم العباسيون الحكم على أكتاف الفرس ، ولكن الفرس لم يستطيعوا أن يسيروا في عصبيتهم شوطاً بعيداً لأن دعاة العصبية

فيهم قلة وأنصار التطرف فئة صغيرة والغلاة عددهم محدود ، ولأن الأمر لم يكن بيدهم تماماً ، فالخلفاء من العرب ، والأمر لا يزال في بدايته ، فالقوة واستعمالها أكثر ماتكون في بداية كل حركة أو تغيير وضع ، والنفوس لا تظهر ما تضرر منذ بداية الطريق ، والعقيدة الإسلامية لا تزال راسخة قوية في قلوب كثيرة من أجناس مختلفة ، فتميل إلى الحق ، وتمتقت العصبية وتدعو إلى الفكرة ، كما أن الخلفاء كانوا أقوىاء في استعمال السلطة حيث ركبوا أوعر الطرق حتى تم لهم الأمر فلا يصلح التساهل والتغاضي ، والإنسان الذي لقي الشدة حتى وصل إلى أمر يصعب عليه التخلي عنه والتفريط فيه فيبقى في شدته إلى أن تضعف مع الزمن ، وتنتهي عندما يصل إلى الأمر من لم يعرف عذاباً في الوصول إليه ولم يتحمل مهانة لتسلم الوضع ، فيثقي الجبل على الغارب ، وينصرف إلى ما تحدثه نفسه ، وتدفعه شهوته ، وبعض النفوس ضعيفة وأكثر الشهوات مهلكة وهكذا تدول الأمم وتنزول الحكومات وتميل الدول نحو الانحطاط .

وفي عهد لقوة بني العباس انتهى أحد الدعاة وهو أبو سلمة الخلال حفص بن سليمان (ت ١٣٢هـ) وأعقبه أبو مسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم (ت ١٣٧ هـ) مؤسس الدولة العباسية الذي يقول مفتخراً بما قام به :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت

عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

مازلت أسعى بجهدي في دمارهم
والقوم في غفلةٍ بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فاتبھوا
من نومةٍ من ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة

ونام عنها تولى رعيها الأسد

ويظهر أن كليهما كان من أنصار التطرف تخلص الثاني من الأول
عندما ظن أن السفاح قد استماله وأبعده عن مهمته ، وأزال
المنصور الخليفة العباسي الثاني أبا مسلم الخراساني من طريقه
عندما ظهرت منه بوادر العصية ولاحت عليه فكرة الاستئثار
بالوضع وكمنت العصية الفارسية قليلاً ثم ارتفع رأسها
شيئاً في عهد البرامكة فأحناه الرشيد ثم طار في الهواء عام ١٨٧ هـ ،
ولكن الأمر لم يدم كثيراً ، ووقت القوة لم يطل ، وكانت العصية
تنتظر الشرارة للتدلع ، فإذا لم تتوفر الشرارة اكتفت بالدخان
ليلهبها ، واعتمدت على عصية الأم ، فقد كان للرشيد أبناء عدة
من زوجات مختلفات في العصية ، وقد أوصى لأبنائه من بعده
الأمين محمد (ت ١٩٨) فالأمون عيد الله (ت ٢١٨ هـ) فالموثمن
القاسم (ت ٢٠٨ هـ) ولم يكونوا من أم واحدة ، فتعصب العرب
للأمين وكانت أمه منهم ، وانحاز الفرس للأمون لأن أمه كانت
من الفرس وهم ينتظرون الفرصة وقد خلت النفوس من الإيمان
فأصبح يملؤها كل شيء ولو كان بوراً ، بل إن العرب قد اختلفوا

فسارت القيسية مع الأمين ، والكلبية مع المأمون ، وكادت الفتنة تندلع إلا أنها اقتصت بسير المؤتمن مع المأمون ، وخمدت بمقتل الأمين ، وبقيت آثارها قائمة ، وظهر كل قائد أو زعيم إلى السيطرة على منطقته . معتمداً على عصبية ولم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الطاهرية في (مرو) حاضرة خراسان ، وقد أسسها طاهر ابن الحسين قائد المأمون الذي دخل بغداد وقتل الأمين ، ثم أصبح والي خراسان من قبل المأمون عام ٢٠٥ ولكن إن استطاع المأمون القضاء عليه إلا أن خراسان بقيت بيد أسرته حتى عام ٢٥٩ هـ . وما أن قامت الدولة الطاهرية إلا وابتدأت العصبية تظهر والدعوة إليها تقوم في كل جهة وبخاصة في خراسان ، فقام الصفاريون في سجستان وامتد نفوذهم إلى خراسان ، وقام السامانيون في بلاد ما وراء النهر ، ووصلت دولتهم إلى خراسان ، ووصل حكم بني زيار في طبرستان إلى بعض أجزائها أيضاً . وأخيراً دانت خراسان لحكم الغزنويين ومن بعدهم كانت ضمن دولة السلاجقة ، وكل هذه الدول كانت تتبع الخلافة في بغداد اسماً وتحكم باسم الخليفة ، وفعلياً تعتمد على العصبية وتقوي اللغة المحلية فبعد أن كانت اللغة العربية هي الرسمية والسائدة بدأت تنزاح شيئاً فشيئاً أمام إحياء اللغات المحلية واستعمالها ، فاللغة العربية هي لغة الإسلام وبمقدار ما تنتشر الفكرة الإسلامية بمقدار ما تنتشر لغته ، وعندما تضعف الفكرة تضعف معها اللغة . . . وقامت الدولة الخوارزمية وحكمت أجزاء واسعة من خراسان ،

وفازعها الغوريون على الأجزاء الباقية ، واستمرت هذه الدولة حتى اجتاحت المغول المنطقة بقيادة جنكيزخان عام ٦١٨ هـ ، فأصاب المنطقة ما أصابها من دمار وخراب ، وبعد جنكيزخان تقاسم أبنأؤه إمبراطوريته الواسعة فتأسست الدولة الإيلخانية في فارس وحكمت أكثر أجزاء خراسان ، وقامت الدولة (الجغتائية) في بلاد ما وراء النهر وحكمت منطقة طخارستان التي حاضرتها مدينة (بلخ) ، ينسا كانت هراة في حكم (الكرت) الذين مركزهم بلاد الأفغان .

ضعفت الدولة الإيلخانية ، وفي الوقت نفسه قام تيمور في (سمرقند) ببلاد ما وراء النهر وجمع حوله التتار واتجهوا نحو الغرب فاجتاحوا المنطقة عام ٧٨٤ هـ ، واستمرت أسرته تحكم المنطقة حتى عام ٩٠٠ هـ حيث حصل النزاع بين خلفاء (تيمور) و (التركمان) الذين ظهروا في شرقي بحر الخزر ، ومع (الأوزبك) الذين سيطروا على أجزاء خراسان كافة ، وينتمي (التركمان) و (الأوزبك) إلى العنصر التركي الذي كان يندفع نحو الجنوب الغربي باستمرار فيدخل بلاد ما وراء النهر ، ويعتق الإسلام . ثم يتوزع في تلك الأرجاء ، وتستقر قبيلة في منطقة معينة تحمل اسمها مع الزمن . وسيطر (الأوزبك) على خراسان . وعندما تأسست الدولة (الصفوية) امتد نفوذها حتى شمل خراسان وانزاح (الأوزبك) عن مواقعهم ولم يبق لهم من خراسان سوى بقاع ضيقة جنوبي وغربي نهر جيحون .

لقد حاول (أولجايتو)^(١) أحد حكام الدولة الإيلخانية نشر المذهب الشيعي فكُتب له ذلك في إيران، وجاء الصنويون فتابعوا خطته ونجحوا في إيران إلا أنهم فشلوا في خراسان كما عجز (أولجايتو) من قبلهم ، وهكذا دامت فارس بالمذهب الشيعي ، بينما بقيت خراسان تتبع مذهب أهل السنة والجماعة إلى الآن . عادت مرة أخرى الجماعات تتقاتل في خراسان ومن كتب له النصر سيطر على أجزاء منها ، فقد حكم (الأفشار)^(١) خراسان ثم تقاسموها مع الأفغان ، ثم حكم (القاجار)^(٢) الأجزاء الغربية منها وتقاسمها مع الأفغان ، بينما استقلت طخارستان (بلخ) . امتد حكم القاجار على الأجزاء التي تتبع إيران اليوم ،

(١) أولجايتو بن ارغون بن اباخان بن هولاكو ، أحد حكام الدولة الإيلخانية ، شب على النصرانية ، ثم اعتنق الإسلام على المذهب الشيعي وعمل على نشره ، وعُرف باسم (محمد خدا بنده) حكم الدولة الإيلخانية ٧٠٤ - ٧١٣ هـ ، ومُنِى بعده أصبح الدين الاسلامي السائد في دولة ايلخانات الفرس .

(١) الافشار : أسس دولتهم (طهماسب قولي خان) ثم خلفه (نادر شاه) الذي غزا أفغانستان ، وتوغل في الهند ، واستولى على بخارى ، وأراد أن يعيد مذهب السنة الى إيران ، ولكنه فشل إذ قتل عام ١١٦٣ هـ .

(٢) القاجار : أقام دولتهم (آقا محمد) عام ١١٩٣ هـ بعد فترة فوضى سادت البلاد بعد مقتل (نادر شاه) وكانت أفغانستان قد استقلت ، وكذا جورجيا ، وأخذت الدولة العثمانية جزءاً من (أذربيجان) ، وسيطرت روسيا على (بخارى) و (سمرقند) ، واستمر حكم (القاجار) حتى عام ١٣٤٤ هـ .

بينما أخذ الأفغان المناطق التي تتبع أفغانستان الآن عدا (بلخ) التي كانت مستقلة بنفسها • ما الأقسام الأخرى فكانت تحت حكم (الأوزبك) الذين تجزأت دولتهم فكانت عدة خانات منها (خيوه) ومنها (مرو) ومنها في ما وراء النهر (بخارى) و (خوقند) أما التركمان فكانت دولتهم بين بحيرة (خوارزم) وبحر الخزر • في هذا الوقت كان الروس يمدون نفوذهم على أواسط آسيا وسيطرون على تلك المناطق جزءاً بعد جزء فغزوا الجزء الأوزبكي بين عامي ١٢٩٠ - ١٣٠٥ هـ ، إذ دخلوا (خيوه) ١٢٩٠ و (مرو) ١٣٠٣ هـ ، وكذلك ضمت (طخارستان) إلى الأفغان • وبهذا أصبحت خراسان التي كانت ولاية واحدة تتبع اليوم دولاً ثلاثاً :

- ١ - روسيا : وتسيطر على الجمهورية المعروفة اليوم باسم (تركمانستان) •
- ٢ - أفغانستان : التي تتبعها منطقة (طخارستان) و (هراة) •
- ٣ - إيران : التي تتبعها (نيسابور) و (طوس) و (طبرستان) •

بلاد ما وراء النهر

الطاهر

طوبیٰ بخائی

بلاو التزكمان

11

الصفحة ١٢

بِلَادُ التُّرْكْمَانِ

تشغل بلاد التركمان أراضي واسعة أكثرها صحراوية حيث تشمل صحراء (قره قوم) التي تشغل تسعة أعشار البلاد ، والقسم الباقي وهو الذي يقع في جنوبي المنطقة ، وتهطل عليه الأمطار المتوسطة في فصل الشتاء وذلك لارتفاعه . وعلى الرغم من أن المنطقة تقع على ساحل بحر الخزر إلا أن ذلك لا يؤثر على مناخها إلا قليلا من الرطوبة التي لا تتعدى الساحل وذلك لأن البحر مغلق وصغير ، وتنخفض مياهه عن سطح مياه البحار ، كما ترتفع غربه الجبال على حين تنخفض بلاد التركمان في شرقه .

والمنطقة الجنوبية المرتفعة هي السفوح الشمالية للمرتفعات الواقعة في إيران وأفغانستان ، وهي المنطقة الآهلة بالسكان إضافة إلى الواحة التي يؤلفها نهر (جيحون) على طول مجراه في البلاد ، ويروي هذه المنطقة أنهار تأتي من خارج المنطقة وإن كانت خراسانية وهي : نهر (مورغاب) الذي ينتهي عند مدينة (مرو) ، ونهر (هاري) أو (هراة) وهو الذي يعرف أيضا باسم نهر (تادزهن) نسبة إلى المدينة التي يمر فيها ، وكانت مدينة (بيهق) تقع عند نهايته حيث تتوزع هناك مياهه للري ، ونهر (أتراك) الذي يصب في بحر الخزر .

استولى الروس على القسم الأكبر من البلاد إثر الحرب التركمانية ١٢٩٧ - ١٢٩٨ هـ ، ولكن جنوب شرقي البلاد لم يخضع للروس حتى عام ١٣٠٢ هـ بما في ذلك (مرو) التي دافع عنها التركمان دفاعا مستميتا .

فكرت روسيا أنه لقهر التركمان لابد من قهر الصحراء وتنفيذ مشروعات إروائية ضخمة تستطيع بموجبها نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة وتوطينهم فيها وبالتالي يسيطرون على البلاد .
حفر الروس قناة (تركمانيا) المعروفة اليوم باسم قناة (نجلوخوفسكي) ، وتصل بين المجرى الأدنى لنهر جيحون وبحر الخزر ، وحفروا أيضا قناة (قره قوم) التي تجري من نهر (جيحون) إلى نهر (مور غاب) فنهر (تادزهن) ، وتنتهي بغربي (عشق آباد) ، ويبلغ طولها ٤١٠ أميال ، وتوجه مياهها لري مساحات واسعة في جنوبي بلاد التركمان . وستصل إلى خليج (كرازنوفودسك) على بحر الخزر وسيبلغ عندئذٍ طولها ٦٠٠ ميل .

يزرع في المنطقة الحبوب والفاكهة والقطن .

وتنتج ٢٠٠٠٠ طن من القمح .

٢٤٠٠٠ طن من الذرة .

٥٤٠٠٠٠ طن من القطن .

وتربى فيها الحيوانات وبخاصة الماعز حيث يبلغ عدد قطعانها

منه ٤ ملايين رأس .

كما وجد النفط في حوض (بنيت داغ) .

يبلغ عدد التركمان مليوني نسمة ، ولا يقيم منهم في بلادهم أكثر من مليون تركماني بينما يعيش الباقون مشردين في أنحاء متفرقة من العالم الاسلامي وبخاصة في العراق وتركيا وبلاد الشام ثم انتقلت أعداد منهم الى مصر والجزيرة العربية ، وفي سورية يعيش قسم منهم في شمال اللاذقية وغربي حمص وشمالى حلب ومنطقة الجولان هذا بالإضافة الى من يقيم منهم في المدن الكبرى مثل دمشق وحلب . فمن ياترى يستثمر هذه المشروعات؟ لا شك إن الروس والأوكرانيين هم الذين يستعمرون البلاد ، ومن أجلهم أقامت المشروعات . والواقع أن الأفواج الكبيرة من القادمين الجدد بدأت تتدفق على البلاد وتركز في ميناء (كرازنوفودسك) ، ويظهر هذا من نسب السكان التالية وتوزعهم : عام ١٣٤٥ هـ ، كان توزع الجنسيات كما يلي :

ترکمان	٪ ٧٨
روس	٪ ٠٦
تتار وقوزاق وفرس وأرمن	٪ ١٦
	٪ ١٠٠

وعلى الرغم من أن نسبة التركمان هذه الكبيرة ، إلا أنهم لم يحصلوا على مركزهم في القيادة فقد وزع أعضاء مجلس الجمهورية عام ١٣٥٧ هـ كما يلي :

للتركمان	٥٥ ٪
للروس	٣٠ ٪
أوكرانيون ويهود	٠٩ ٪
أقليات آسيوية •	٠٦ ٪
	<hr/>
	١٠٠ ٪

ومن هذا الجدول يظهر أن الروس هم الذين يحصلون على مقاعد أكبر من نسبتهم ويتبنون مركز الصدارة ويحتلون خمسة أمثال نسبتهم العددية •

وبعد تسعة أعوام نشأ جيل جديد من التركمان تربوا على أيدي الروس ، ووافقوا على التعاون معهم فارتفع عدد مقاعد التركمان وانخفضت نسبة الروس ولكن بقيت بأيديهم المراكز الحساسة وفي الوقت نفسه ارتفعت نسبة الأوكرانيين ، وكان التوزيع عام ١٣٦٧ هـ على النحو التالي :

تركمان	٦٦ ٪
روس	٢٢ ٪
أوكرانيون	١٢ ٪

وعلى الرغم من أن الروس لا يزالون قلة بالنسبة إلى التركمان إلا أن مقاليد الأمور كلها بأيديهم ولا يركنون أبداً لأبناء البلاد ولو كانوا على عقيدتهم ومن أكثر الناس إخلاصاً لأفكارهم ...
وقصد بالروس الروس والأكرانيين معاً ، والروس هم الذين

يشرفون على الأمن أيضاً ، وعلى المشروعات كافة .

ومن أشهر المدن في بلاد التركمان :

عشق آباد : حاضرة البلاد الآن ، ومحطة كبيرة للخطوط الحديدية التي تصل بين ميناء (كرازوفودسك) ومدينة (مرو) وتقع قرب الحدود الإيرانية على ارتفاع ٣٥٠ م . وتقع إلى الغرب منها وعلى بعد عدة كيلو مترات منها أطلال مدينة (نسا) التي ينسب إليها عالم الحديث المشهور (النسائي) (ت ٣٣٠ هـ) ، والصيف فيها قاس قلما ينجو أحد فيه من المرض . وقيل إن سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا ، ولم يتخلف بها غير النساء فلما أتاها المسلمون لم يروا رجلاً فقالوا : هؤلاء نساء والنساء الا يقاتلن فنسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن ، فتركوها ومضوا فسموها بذلك (نسا) ، والنسبة الصحيحة إليها نسائي وقيل نسوي أيضاً .

أبيورد : وهي بين (نسا) و (سرخس) رديئة الماء ، فتحت على يد الأحنف بن قيس للمرة الأولى ، ثم فتحت على يد عبد الله بن عامر . وهي الآن غير موجودة ، وينسب إليها الأديب محمد بن أحمد الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ) .

نارذهن : مدينة حديثة تقع على نهر (هراة) الذي ينسب في بلاد التركمان إليها ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل بين (مرو) و (عشق آباد) . وهي من قرى بيهق الكثيرة إذ أنها

كورة كبيرة وفاحية واسعة كثيرة البلدان والعمارة وتمتد من فاحية
(نيسابور) حتى الصحراء .

مرو : هي مرو الشاهجان ، أو معناها نفس السلطان
بالفارسية ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها .
والنسبة إليها مروزي ، يرويها نهر (مورغاب) القادم من
أفغانستان ، وتعد محطة كبيرة ومركزاً زراعياً .

كرازنوفودسك : الميناء المهم في بلاد التركمان ، ويقع على
ساحل بحر الخزر الشرقي ، يكثر في هذه المدينة الروس
والأوكرانيون القادمون لاستثمار خيرات البلاد واستثمارها ،
وهي نهاية الخط الحديدي القادم من الداخل والأقنية المائية سواء
أكات قنائة (تركمايا) أم قنائة (قره قوم) .

نبيت داغ : داغ في التركية معناها الجبل ، وقد بنيت
هذه المدينة في سفح جبل منفرد هناك على الخط الحديدي الذي
يمر جنوبي الجبل . . . وهي مدينة نفطية . . . حيث يستثمر
النفط بالقرب منها .

وقد ضمت جمهورية بلاد التركمان جزءاً من بلاد ما وراء
النهر إليها وهي المنطقة الواقعة شرقي نهر (جيحون) ، كما شملت
أجزاء من فاحية (خوارزم) .

القسم الأفغاني

إن القسم الشمالي من أفغانستان يشمل أرضاً خراسانية تزيد مساحتها على ثلث مساحة بلاد الأفغان ، وتتألف من منطقة جبلية هي السفوح الشمالية والغربية لجبال هندكوش العالية ، ولما كانت المياه تنحدر نحو السفوح فهي تتجه نحو الشمال ونحو الغرب ، تتجه نحو الشمال الترفد نهر (جيحون) الذي يشكل الحدود في هذه الأيام بين أفغانستان وكل من بلاد الطاجيك والأوزبك والتركمان ، وتتجه نحو الغرب لتصب في نهر (مورغاب) و (هراة) ويشكل الثاني منهما الحدود بين إيران وكل من بلاد الأفغان والتركمان .

تكون نهاية أرض خراسان الجنوبية ذرا جبال (هندكوش) التي يصل ارتفاعها إلى ٥١٠٠ م ، وتنخفض في الغرب عند حدود إيران إلى ٥٠٠ م ، وفي الشمال عند حدود بلاد التركمان إلى ٣٠٠ م . وتحددها الأودية والسيول المنحدرة من الذرافتشكل أعرافاً متوازية باتجاه مجاري المياه، حتى إن جبال هندكوش تعني جبال الأنهار لكثرة ما ينحدر منها ، وما يجري على سفوحها .

وليست تلك الجبال هي الجرداء كما يتوهم بعضهم وإنما هي وديان خضر تفصلها أعراف ، وما تلك الأعراف بالقاحلة ، وإن

كان بعضها كذلك فهو إما لصخوره المعرقة في الشرق بسبب شدة الانحدار ، وإما للجفاف في الغرب لقلة الأمطار إلا أن أكثرها خضراء تغطيها الغابات أو تملؤها الشجيرات، وتنمو عليها الأعشاب، وهي في الربيع مختلفة الألوان باختلاف أنواع الزهور الطبيعية ، لا يشذ عرف ولا يختلف مرتفع سوى ما يبقى منها مكللاً بالثلج لارتفاعه يسطع بياضه ، وتنعكس عليه أشعة الشمس كلون من الورود الأخرى . وتبقى القمم شاهقة في الشرق ، مهما شَرَّق الإنسان بقيت سامقة أمامه كأنه لا نهاية للارتفاع ، ويستمر العلو كلما ارتقى المرء قمة لحظ هناك أعلى منها ، ويبقى الصعود أمام ناظره .

هذه الأودية التي تملؤها النباتات تعيش في أحضان يحميها انخفاضها من يرد الرياح العاتية من أين جاءت ، ومن لنحات الصقيع تحملها نسائم الشمال أو تدفعها زوابع ثلوج القل . تحيا بالدفء خياوي إليها الإنسان ، ويركن إليها الحيوان ، فتطفح بالحيوية ، وتنعم بالنشاط وإن كان ما حولها هادئاً ساكناً من شدة البرد لا يقطع هذا الهدوء إلا صفير ريح باردة أو صوت زوبعة ثلجية أو حركة حيوان أضناه الجوع فخرج يفتش عن وجبة له في صيد ، وقد التحف فروته يقتل بها برد الشتاء القارس ، وقد يشئت السكون في الغرب إعصار مطر أو عاصفة وإن كان حدوثها قليلاً وزمنها ضئيلاً .

هذا الهدوء الذي يخيم في الشتاء على الأعراف والقلل ينقلب

إلى حركة مستمرة ونشاط دائم منذ أن يتبدىء الجو بالدفء
فيقطع تفكير الإنسان ناي الراعي وصوت البدوي ينتقل وراء
حيواناته ، وحركة القبائل والعشائر تنقل أاثاتها وتحمل خيامها
إلى المصيف وصوت الفراشات ترود المكان وتختلف من زهرة
إلى أخرى وقد فتحتها برد الندى فأخرجت ما كانت تخفيه من غير
فاح فملاً سفوح التلال برائحته • ويبقى الثرى يبرد البطل مدة
وبعض خيوط الماء تلمع تحت أشعة الشمس تنساب بهدوء من
بقع اليلج فتحدد الأرض ، وتجعل فيها انخفاضات وئيدة ، وتظهر
الأغنام مصطفة على جانبيها تروي ظمأها •

أما السهول فتتمدد في الشمال في مناطق ضيقة قريبة من
مجرى نهر (جيحون) ولا يزيد ارتفاعها على ٣٠٠ م ، وترويهما
المياه المنحدرة من الجبال والتي يصل بعضها إلى النهر على حين
يغيب أكثرها في رمال المنطقة • وكذا توجد سهول في الغرب حول
مدينة (هراة) وعلى مجرى النهر الأوسط الذي يعرف باسم نهر
(هاري) • وتجري المياه في بطون الأودية على شكل خيوط من
الماء يعذيها ذوبان الثلوج ، وإن كان عدد الأودية كبيراً إلا أن
معظمها يجف أكثر أيام السنة لقلّة المطر ، وهي تمتلئ بالماء إثر
الزخات ، وتفيض في فصل الربيع بسبب ذوبان الثلوج ، وتشح
فيما عدا ذلك لشدة الحرارة التي تؤدي إلى زيادة التبخر ، وقلّة
التغذية ، والاستفادة من بعض ما يجري فيها بالري ، وإذا ما زاد
على ذلك استمر الجريان حتى وصل إلى المستوى الأساسي سواء

آكان إلى نهر جيحون أم إلى نهر هراة، ويفيض في الرمال فتشكل بعض المستنقعات الموقته .

يعيش أكثر السكان على الزراعة ، ويزرعون الحبوب من قمح وذرة وشعير ورز إضافة إلى القطن وقصب السكر والثولدر السكري والعنب والمشمش والتفاح وأنواع الفاكهة ، ويعتمد ثلثا الأرض الزراعية على الري والباقي على المطر ، كما يوجد الجوز والنسحق بشكل طبيعي .

وتربى الحيوانات في المنطقة وأهمها الخيول والأغنام الجيدة والتي يؤخذ منها الصوف الجيد وهي « الكراكول » إضافة إلى الأغنام العادية والتي يسمونها عريية .

وتربى دودة القز في مقاطعات (بغلان) و (بلخ) و (هراة) بشكل خاص ، وتزخر الوديان بخلايا النحل .

وتزخر مرتفعات (هندكوش) بالمعادن ومنها الرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس كما يوجد الفحم والمرمر في عدة مناطق . ويصنع في البلاد المنسوجات القطنية والصوفية والحريية، إضافة إلى صناعة السجاد التي لها شهرة عالمية .

يسكن منطقة خراسان التي تتبع بلاد الأفغان (البوشتن) ويمثلون خليطاً من العناصر الفارسية والتركية ، ويعملون في الزراعة يمتنون الرعي ، ويمتازون بالقامة الطويلة ولون البشرة الأسمر ، والشعر الأسود المموج ، وقد اعتادوا تحمل المشاق

بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها • وهناك (الطاجيك)
وهم عناصر فارسية ويسكنون الوديان العليا من إقليم (طخارستان)،
العليا وسط البلاد حتى الغرب حيث يعمرّون السهول الغربية حول
مدينة (هراة) ، ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة • ثم
هناك الأتراك حيث نجد (الأوزبك) و (القيرغيز) و (التركمان)
وبعض (القوزاق) وإذا كان أكثرهم يعيش على الضفاف الجنوبية
لنهر (جيحون) فإن (القيرغيز) ينتقلون في هضبة (بامير) ،
ويرعون الأغنام والماعز والخيول وحيوان (الياك) • وهناك
مجموعات قليلة من العرب •

تعدّ (البشتو) اللغة الرسمية ، وكذلك اللغة الفارسية لغة
(الطاجيك) ، والفارسية هي المستعملة في الإدارة والتجارة والثقافة
لما لها من ماض حضاري ، ولكن ٤٠٪ من كلمات اللغة المستعملة
هي من أصل عربي سواء أكانت لغة (البشتو) أم كانت اللغة
الفارسية ، كما أن كلتا اللغتين تكتبان بأحرف عربية • وتحتل
اللغة العربية مركزاً مرموقاً في الدراسة لأنها لغة القرآن الكريم
والحديث الشريف والفقه إضافة إلى أنها تشكل مادة أساسية لمعرفة
أصول اللغة الأفغانية فهي تدرس في المدارس جميعها على أنها جزء
متمم لتدريس التفسير والحديث والفقه • وتقوم بعض المدارس
على تدريس مادة اللغة العربية فقط مثل (فخر المدارس) مدينة
(هراة) • والسكان جميعهم من أهل السنة والجماعة وإن كان
قسم كبير منهم من أصل فارسي إذ أن الشيعة لا ارتباط لها

بالفرس — كما يظن — وإنما وجدت حيث فرضها (أولجايتو)
والصفويون — كما رأينا — في منطقة معينة أكثر أهلها من الفرس .

وأشهر المدن الخراسانية في هذا القسم :

بلخ : مدينة تاريخية قديمة ، كانت عاصمة (إيرانا) القديمة ،
وكانت تحمل اسم (باكتريا) ، وتقع على نهر يعرف باسمها حيث
تصلها قناة (ايسكاباد) ، وهي إلى الغرب من مدينة (مزار شريف) .
على مسافة مائة كيلو متر منها تقريباً ، وتعرف المقاطعة اليوم
باسمها على الرغم من أن حاضرتها مدينة (مزار شريف) . وكانت
مركز (طخارستان) .

وقد هدمها (جنكيز خان) ، وخرّب من مسجدها نحو
الثلث بسبب كنز ذكر له أنه تحت سارية من سواربه ، وتعرف
اليوم باسم (وزير آباد) . ويقول ياقوت : وبلخ من أجمل مدن
خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى
جميع (خراسان) وإلى (خوارزم) . ويقال لنهر (جيحون) نهر
بلخ .

هراة : والنسبة إليها هروي ، كحماة وتقع على مجرى نهر
(هاري) ، ولعل اسمها مشتق منه ، وتنتشر حولها السهول وتؤول
إليها مياه السفوح الغربية ومنحدرات الجبال ، ويزيد عدد سكانها
اليوم على ٢٠٠ ألف نسمة ، ومن مساجدها المسجد الجامع الأثري
الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري ، وكان يعدّ آنذاك

أهم جامع في آسيا الوسطى كلها • وكان التتار قد خربوا هذه المدينة أثناء اجتياحهم للمنطقة عام ٦١٨ هـ •

مزار شريف : مدينة قديمة أيضاً وهي مركز مقاطعة (بلخ) ، وتشتهر بتجارة فراء الكراكول •

جوزجان : اسم كورة واسعة من كور (بلخ) بخراسان بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، وتوجد اليوم مقاطعة في أفغانستان تحمل هذا الاسم وتقع إلى الغرب من مقاطعة بلخ •

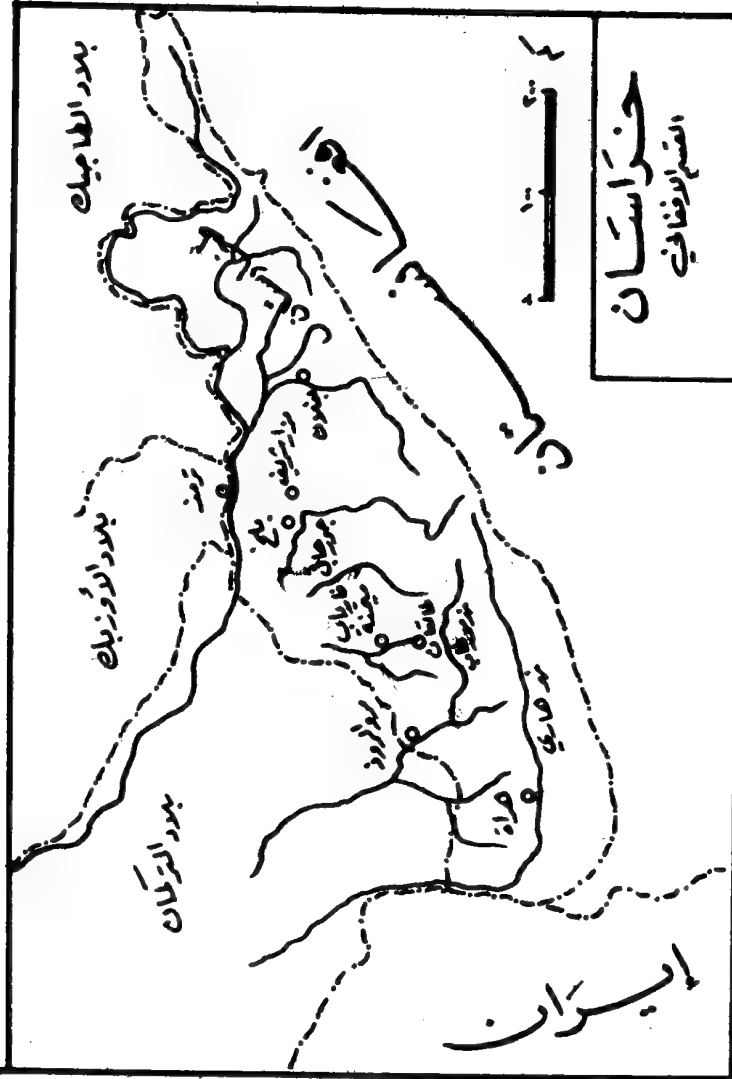
فارياب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال (جوزجان) ، بين (بلخ) و (مرو الروذ) ، وتعرف اليوم مقاطعة بهذا الاسم ومركزها مدينة (ميمنة) وهي (ميمنة جوزجان) •

طالقان : توجد بلدتان تحملان هذا الاسم إحداهما بخراسان بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، بينهما وبين (مرو الروذ) ثلاث مراحل ، وقال الإصطخري : أكبر مدينة (بطخارستان) طالقان ، وهي مدينة في مستوى من الأرض بينها وبين الجبل غلوة سهم ، ولها نهر كبير وبساتين • ويقال لها طالقان مرو الروذ • أما الثانية فهي قرب قزوين •

بغلان : وهي مدينة كبيرة حاضرة مقاطعة تحمل اسمها وتقع جنوبي (بلخ) إلى الشرق •

القسم الرفاعي
خراسان

一、



القسم الإيراني

تشمل إيران جزءاً من خراسان ويشمل هذا الجزء منطقتين :

الأولى : إقليم طبرستان •

الثانية : نيسابور •

١ - إقليم طبرستان : ويسمى اليوم إقليم (مازندران) ويشمل المنطقة المحصورة بين جبال (البوز) وسواحل بحر (الخزر) وتروى هذه البقعة الأمطار التي تهطل على المرتفعات في فصل الشتاء والمياه المنحدرة من الجبال والمنسابة نحو البحر وهي أنهار قصيرة سيلية المجري في أغلبها ، ثم هناك نهر (جرجان) ، ويتجه من الشرق الى الغرب وتقع عليه مدينة (جرجان) ، ونهر (أتراك) الذي يشكل في بعض أقسامه الحدود بين إيران وبلاد التركمان • ويزرع في هذه المنطقة الرز والشاي والجوت والتبغ والفواكه كما توجد أشجار النخيل في الجهات المنخفضة •

ويصاد سمك (الكافيار) من بحر الخزر • وتنمو أشجار البلوط والدردار والصنوبر في أعالي الجبال التي تساعد أمطارها على نمو هذه الأشجار •

يبلغ عدد سكان هذا الإقليم ٢١٩٥٠٠٠ نسمة وينتمي أكثرهم إلى الشيعة وأشهر المدن :

ساري : وتقع على ضفاف نهر تنساب مياهه من الجبال في المكان الذي ينتهي مجراه الجبلي ويدخل المنطقة السهلية ، وهي

حاضرة الإقليم وتقع على الخط الحديدي الذي يصل (طهران) بمدينة (جرجان) •

بندر شاه : وهي ميناء الإقليم على بحر الخزر •

جرجان : قيل : إن أول من أحدث بنائها (المهلب بن أبي صفرة) ، وهي نهاية الخط الحديدي القادم من (طهران) ، وتقع على نهر يعرف باسمها • وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه (حمزة بن يزيد السهمي) •

٢ - منطقة نيسابور : وقد ضمَّ إليها إقليم (قوهستان) وحملت اسم محافظة خراسان وهي منطقة جبلية تتألف من ثلاث سلاسل جبلية : يكون اتجاه الأولى والثانية من الشمال نحو الجنوب الشرقي ، وتأخذ الثالثة اتجاهاً عرضياً من الغرب إلى الشرق • تعد ذرا الأولى حدوداً فاصلة بين إيران وبلاد التركمان ، ويجري بينها وبين الثانية المجرى الأعلى لنهر (أتراك) في الغرب بينما يسير في القسم الشرقي نهر (مشهد) وبين المجريين ترتفع عتبة (قوشان) ، وأشهر المدن تقع بين السلسلتين وهي : (اقوشان) و (مشهد) و (طوس) • وبين السلسلة الثانية والثالثة تجري نحو الغرب سيول تنتهي في حفرة مغلقة تقع على حدود خراسان الغربية ، ونحو الشرق روافد نهر (مشهد) الذي يرفد بدوره نهر (هراة) الذي يجري على الحدود الشرقية لإيران مع بلاد التركمان ، وكذلك يمر الخط الحديدي الذي يصل بين (طهران) و (مشهد) •

وبعد السلسلة الثالثة يصبح اتجاه الجبال بين الشمال والجنوب ، وبين الاختلاف في اتجاه الجبال يكون مدخل خراسان نحو مدينة (هراة) حيث تنخفض المرتفعات ، ومن هذا المكان كان دخول الجيوش الإسلامية إلى خراسان وكان تحركها نحو الشرق . والأمطار التي تتلقاها المنطقة تؤول إلى منخفضات مغلقة تنتهي فيها فتشكل سبخات معروفة ، أو تفيض هناك في الرمال ، ويشمل هذا الإقليم جزءاً من صحراء (لوط) .

يبلغ عدد سكان هذا الإقليم ما يقرب من ثلاثة ملايين ، يمت أكثرهم إلى أصل تركي ، وينتمي أغلبهم لمذهب أهل السنة والجماعة ومن أهم المدن المعروفة هي :

مشهد : أكبر مدن خراسان الإيرانية اليوم ، وهي حاضرتها ، يبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة ، وهي مركز مقدس عند الشيعة حيث فيها مقام لضريح الإمام الثامن (علي الرضا^(١)) ، ويحجون إليها ، وعلى الضريح قبة مذهبة ترى من كان بعيد ، ومنارتان مذهبة أطرافهما ، ويسمى الحاج إليها عند الشيعة باسم

(١) علي الرضا : ولد في المدينة المنورة عام ١٥٣ هـ ، عهد إليه المأمون بالخلافة بعده ، وزوجه ابنته ، فثار العراق على المأمون ، وبايعوا عمه فسار إليهم بجيش من طوس فاتصر عليهم وعفا عن عمه ، مات علي الرضا في حياة المأمون عام ٢٠٣ هـ في طوس ، فدفنه المأمون بجانب أبيه الرشيد .

مشهدي ، كما يوجد فيها ضريح (هارون الرشيد ^(١)) . وهي محطة كبيرة إذ ينتهي إليها الخط الحديدي المتجه من (طهران) إلى المشرق . ويمر منها النهر المعروف باسم المدينة ليرفد نهر (هراة) عند الحدود ، وقد يسمى بنهر (الكاشف) .
ومشهد مدينة حديثة كانت ضمن بساتين مدينة (طوس) .

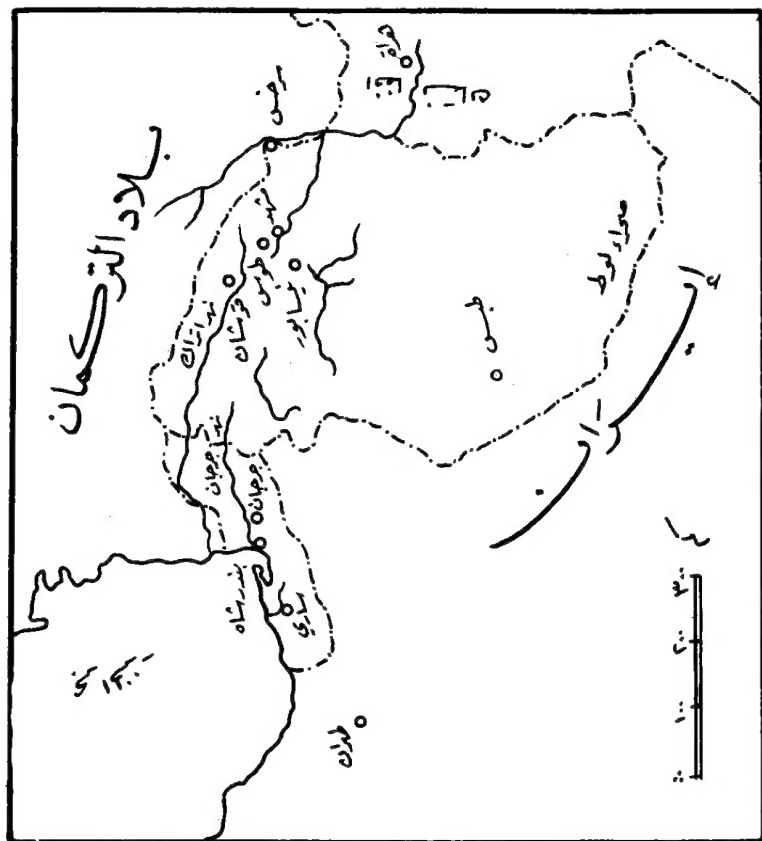
طوس : إلى الشمال الغربي من (مشهد) وعلى بعد ٢٠ كم تقوم مدينة (طوس) التاريخية على ضفة النهر اليسرى وهي الآن قرية صغيرة عامرة .

نيسابور : إلى الجنوب الغربي من (مشهد) وعلى بعد ١٢٥ كم منها تقع مدينة نيسابور المدينة التاريخية المشهورة وحاضرة الدولة الطاهرية الثانية .

طبرس : المشرفة على مدخل خراسان نحو (هراة) .

سرخس : وقد أصبحت بعد تقسيم خراسان مدينتين إحداهما في بلاد التركمان والأخرى في إيران وتفصل الحدود بينهما .

(١) هارون الرشيد : ولد بالري عام ١٤٩ هـ ، خامس خلفاء بني العباس وأنسهرهم ، كان يحج عاما ويغزو عاما ، انتصر على الروم في أكثر غزواته ، وأوغل في بلادهم ، وأخذ منهم الجزية ، توفي عام ١٩٣ هـ في إحدى قرى طوس ، بعد أن حكم مدة ٢٣ سنة .



وهكذا نجد أن ولاية خراسان تقع اليوم ضمن ثلاث دول
إحداها وهي بلاد التركمان وتقع تحت السيطرة الروسية ، وتشمل
القسم الأكبر من خراسان إذ أن توزع الولاية على الشكل التالي :

• ٤٥٠٠٠ كم^٢ من ولاية خراسان ضمن بلاد التركمان .

• ٢٠٠٠٠ كم^٢ من ولاية خراسان ضمن بلاد أفغانستان .

• ١٠٠٠٠ كم^٢ من ولاية خراسان ضمن إيران .

• ٧٥٠٠٠ كم^٢ .

وبذا تكون مساحة بلاد خراسان ثلاثة أرباع المليون من
الكيلومترات المربعة ، ويسكنها اثنا عشر مليوناً من البشر منهم :

• ٤٢٥٠٠٠٠ من أصل تركي وهم (التركمان) و(القرغيز)

و (الأوزبك) و (القوزاق) .

• ٣٧٥٠٠٠٠ من أصل فارسي وهم (الطاجيك) في أفغانستان

وسكان إقليم (مازندران) في إيران .

• ٣٥٠٠٠٠٠ من أصل محتلط من الفرس والترك وهم

(البشتو) في أفغانستان .

• ٥٠٠٠٠٠ من أصل روسي وهم المستعمرون الذين

يتسلمون مقاليد بلاد التركمان .

• ١٢٠٠٠٠ نسمة

ونرجو أن يأتي اليوم الذي يتوحد فيه المسلمون ، وتعود
خراسان ولاية وحدها ضمن العالم الإسلامي وترتفع كلمة التوحيد
خفاقة فوق ربوعها .

الفهرس

٣	المقدمة
٦	جغرافية خراسان
١٤	تاريخ خراسان
٤٣	بلاد التركمان
٥٠	القسم الافغاني
٥٨	القسم الايراني